المنهج النقدي الإجتماعي

هو واحد من المناهج التي تهتم بدراسة الظاهرة الادبية باعتبارها ظاهرة اجتماعية، وقد انحدرالمنهج الإجتماعي من عباءة المنهج التاريخي ، ولذلك قال بعضهم : " إن المنهج الإجتماعي هو جزء من المنهج التاريخي ."1

يربط المنهج الاجتماعي بين الادب وطبقاته المختلفة فيكون الادب ممثلا للحياة على الصعيد الجماعي لا الفردي ، باعتبار أ ن المجتمع هو المنتج الفعلي للاعمال الادبية . وتعود بداياته إلى نهاية القرن الثامن عشرومطلع القرن التاسع عشر حينما أصدرت ( مدام دي ستايل)كتابها الموسوم ب" الادب في علاقته بالأنظمة الاجتماعية " عام 1800. و حاولت في هذا الكتاب أن تبين تأثير الدين والعادات والقوانين في الأدب ، وتأثير الأدب في الوقائع الاجتماعية . كما استخدمت في ذلك المبدأ القائل بأن الأدب تعبير عن المجتمع . 2

ولقد تعددت تسميات النقد الذي قام على أساس المنهج الإجتماعي ، فتارة نجده يسمى النقد الإجتماعي ، وتارة أخرى بالواقعي ، ، وأحيانا بالماركسي ، وفي مرات أخرى بالايديو لوجي .

وهناك من الباحثين من من يرى إمكانية عد تحليلات الناقد الفرنسي (هيبوليت تين ) في كتابه " تاريخ الادب وتحليله " عام 1863 ، أحد أبرزالتطبيقات الممثلة للمنهج الإجتماعي في دراسة الادب .

والحق أن للفكر المادي الماركسي اثر في تطور المنهج الاجتماعي ، واكسابه إطارا منهجيا ، ومن المعروف في الفلسفة الماركسية التي وضع أسسها(ماركس وانجلز ) ترى أن المجتمع يتكون من من بنيتين (تحتية) يمثلها النتاج المادي المتحقق في الحياة الاقتصادية التي تشمل العمال والمصانع وأدوات الانتاج ، و(الفوقية ) وتتمثل في النظم الثقافية والفكرية والقوانين والادب ، وأن أي تغيير في قوى الإنتاج المادية (البنية التحتية ) لابد أن يحدث تغييرا في العلاقات والنظم الفكرية ( البنية الفوقية ) .

وقد عملت الماركسية مع الواقعية في ترسيخ الاتجاه الذي يدعو الى التلازم بين التطور الاجتماعي والازدهار الأدبي مما أفضى إلى ازدهار "علم الاجتماع " الذي كان من نتائجه ظهور علم قبل منتصف الفرن العشرين سمي علم "اجتماع الادب " أو " سوسيولوجيا الادب " . وقد تأثر هذا العلم بالتطورات التي حدثت على صعيد الادب من ناحية ، وعلى مسستوى مناهج "علم الاجتماع " من ناحية اخرى .

ومن أبرز أعمدة المنهج الاجتماعي الماركسي نشير إلى فريدريك هيجل -1770- 1830) ، و(كارل ماركس 1818-1883) ، و(فريدريك انجلز 1820-1895 ) ،( جورج لوكاتش 1885-1971 ).

لقد أدى تطور علم الاجتماع على يد الناقد المجري (جورج لوكاتش ) إلى ظهور تيارين مختلفين :

الاول تيار كمي : او مايصطلح على تسميته بتيار (علم اجتماع الظواهر الادبية ) وهو اتجاه يستفيد من التقنيات التحليلية في منهج الدراسات الاجتماعية ، مثل الاحصائيات ، والبيانات الد قيقة عن الاعمال الادبية ، وذلك من أجل الوصو ل الى نتائج مهمة تبرز حقيقة حركة الادب في المجتمع .

1-وليد قصاب ، مناهج النقد الادبي الحديث، رؤية اسلامية ، دار الفكر ، دمشق ،ط1 ، 2009،ص 35.

2- ينظر حمد عبد الله خضر ، مناهج النقد الادبي السياقية والنسقية ،ص11.

ومن اعلام هذا الاتجاه ( روبير اسكاربيت) الناقد الفرنسي له كتاب في "علم اجتماع الادب " إن اهم ما يمكن الوقوف عليه لدى أصحاب هذا الاتجاه ، هو إهمال الطابع الفردي للأعمال الإبداعية عند دراستها وتناولها على أنها ظواهر اجتماعية ،واستخدام لغة الارقام فضلا عن الاكتفاء بتتبع الظواهر ورصدها دون الاهتمام بتفسيرها وربطها ببعضها بعض ما يجعل نتائج الدراسة في نهاية المطاف مجموعة من البيانات والمعلومات التي تفيد علم الاجتماع وباحثيه اكثر مما تخدم نقاد الادب.1

التيار الثاني : ويسمى المدرسة الجدلية التي تنسب إلى هيجل ثم ماركس ، ورأيهما في العلاقة بين البنية التحتية والبنية الفوقية في الانتاج الادبي والانتاج الثقافي وهذه العلاقة قائمة على التبادل والتفاعل مما يجعلها علاقة جدلية .

ثم جاء (جورج لوكاتش 1885-1971) كمنظر لهذا الاتجاه حيث اهتم بتحليل العلاقة بين الادب والمجتمع ، باعتباره انعكاسا للحياة الاجتماعية . وأعقبه تلميذه ( لوسيان غولدمان 1913 -1970 ) الذي ارتكز على مبادئ استاذه لوكاتش وعمل على تطويرها كما طور ايضا النقد الاجتماعي الواقعي الماركسي ، وإليه يعود الفضل في ظهور المنهج البنيوي التكويني ، الذي عرف تسميات اخرى ك ( الانشائي والهيكلي والتوليدي ) . وقد ظهرت مجموعة من المصطلحات والمفاهيم المصاحبة للمنهج البنيوي التكويني منها( رؤية العالم ، البنية الدالة ، الوعي الممكن والوعي الفعلي ) 2، وغيرها من المصطلحات .

ويقصد غولدمان برؤية العالم مجموعة الافكار التي توحد أعضاء مجموعة اجتماعية أو اعضاء طبقة اجتماعية وتجعلهم في تعارض مع المجموعات الاخرى .

والبنية الدالة فهي التي تخلق عنده وحدة بين العناصر الداخلية للنص الادبي .

أما الوعي الفعلي هو الوعي الآني الواقعي الذي يعي مشاكله التي يعيشها لكنه يعجز عن ايجاد الحلول لها . في حين يعني الوعي الممكن عند (غولدمان ) الوعي المستقبلي وبعبارة اخرى هو وعي التغيير والتطوير بخلاف الوعي الفعلي الذي هو وعي التكيف والمحافظة على الواقع .

وقد أدى التطور في المناهج النقدية الحديثة الى نشاة مايعرف ب" علم الاجتماع النصي " الذي يفيد من معطيات علمي النص وعلم الاجتماع ما يجعل المقاربة السوسيولوجية أكثرارتباطا بالوسيط الفعلي بين الادب والحياة هذا الوسيط هو اللغة .-3-

المنهج الاجتماعي في النقد العربي :

لقد عرف هذا المنهج في النقد العربي منذ اوائل القرن العشرين ، ويأتي المصري ( سلامة موسى ) على راس من تبنوا المنهج

1-ينظر صلاح فضل ، مناهج النقد المعاصر ،ص50.

2- صلاح فضل ،المرجع نفسه،ص51.

3- صلاح فضل ، المرجع نفسه،ص61.

المنهج الاجتماعي في النقد العربي ، فهو يرى أن الادب تعبير عن المجتمع كما يعتقد ان الادب ينبغي ان يخدم المجتمع مثلما يلاحظ في كتابه ( الادب للشعب ). أما محمد مندور فقد اتبع النقد الايديولوجي ، في حين مثل ( لويس عوض ) النقد الاشتراكي أما (أمين محمود العالم ) فقد مثل النقد الواقعي الاشتراكي .ثم اتسعت رقعة النقد الاجتماعي خلال منتصف الثمانينيات حيث تأ ثر بالمنهج البنيوي التكويني ل( وسيان غولدمان ) ، فبرزت اسماء كثيرة تبنت هذا المنهج مثل جمال حشيد في سوريا ، ومحمد بنيس وحميد لحميداني وسعيد علوش في المغرب، وطاهر لبيب في تونس ، ومحمد ساري في الجزائر ويمنى عيد في لبنان .

سلبيات المنهج الاجتماعي : من أبرز الانتقادات التي وجهت للنقد الاجتماعي

قلة الاهتمام بالنص الادبي من الناحية الداخلية والتركيز على المؤثرات الخارجية .

افراط أصحاب هذا الاتجاه في الاهتمام بمضمون العمل الادبي على حساب الشكل .

سيطرة التوجهات المادية فالبنية التحتية في نظر الاتجاه الماركسي تتحكم في البنية الفوقية التي يعد الادب من اجزائها.